

فوائد العادات ومضارها

ابتأ في الجزء الماضي ماهية العادات وكيفية تكونها وتمكنها ووعدنا ان نذكر بعض فوائدها ومضارها في هذا الجزء ونجازاً لذلك نقول

ان الفائدة الأولى التي نستفيد منها من العادات هي اننا نقتصد بها في استعمال القوة العقلية حتى لقد شبهها بعضهم باستعمال الريا بدل رأس المال كأن القوة العصبية هي رأس مال الانسان العقلي والعادات رباة اورية. ومن لم يصير اعماله وانفاله ملكات في نفسه يأتيتها من غير تعب يبق متردداً فيها ويشعر من نفسه انه مضطر ان ينتبه اليها كلها انتباهاً شديداً والأهملياً وهيئات ان يسلم من الخطأ الكثير بخلاف من يصير اعماله ملكات فيه فإنه يمارسها من غير كلفة ويقفها من غير تعب. مثال ذلك غسل اليدين والوجه بالماء والصابون كل صباح لاجل النظافة فان من يعتاده يصير يارسه يوماً بغير كلفة بل بغير انتباه لكنه اذا اراد ان يمارسه يوماً قبل ان يعتاده رأى فيه مشقة وقلة يوماً واحداً آخر. ومن هذا القبيل ترتيب الاعمال وتقرير الحقائق وصيانة اللسان والمحافظة على الوقت وما اشبه فانها كلها اذا صارت عادات سهلت على الطبع جداً والأبقيت اعمالاً شاقفة تعمل يوماً وتترك آخر او لا تعمل الا بعد امعان النظر واجهاد الارادة الثانية استعمال الصعاب التي تظهر في بادىء الامر من المستحيلات كالعزف على المعازف والجري بالسوايق والمشي على الجبال. ومن هذا القبيل ممارسة الاعمال الطويلة المملة كالقراءة ساعات متوالية والمشي اميالا متتابعة. فان الفتاة التي تلبس على انيوانو تحرك يديها واصابعها حركات سريعة بحسب توقيع الانعام ومدتها. وهذه الحركات يمجز عنها اقوى الرجال واعلمهم واحكمهم وامرهم ما لم يكن قد اعتاد اللعب على البيانو مثلها. والبهوان الذي يمشي على الحبل الدقيق ويقف على صهوة الفرس الجاري برجل واحدة ويشب في الهواء من ارجوحة الى اخرى تبعد عنها بضعة امتار ليس اقوى من غيره ولا احكم ولكنه يستسهل ذلك بحكم العادة. والولد الذي يشرع في القراءة لا يستطيع ان يواظب عليها ساعة واحدة في اول الامر ثم يعتادها بالممارسة حتى يسهل عليه ان يقرأ ساعات متوالية. وكذا المشي فإنه من اصعب الصعاب واذا ايفت المراكز العصبية التي نعتمد عليها في انتصاب القامة وحركات الرجلين لم نستطع الوقوف لحظة واحدة. اما في حالة الصحة فنمشي اميالا كثيرة ولا نشعر بكل في اعصابنا

الثالثة تكون الاخلاق . ولا مشاحة في ان جانباً كبيراً من الاخلاق طبيعي
موروث يصعب تغييره حتى قيل .

ظلمت امرءاً كلفته غير خلقه . وهل كانت الاخلاق الا غرائزاً
لكن اكثر الاخلاق خاضع لحكم العادة وناتج منها . ومن ذلك قول البعض ان
الاخلاق الادبية حزمة من العادات . وهذا لا يفتي فعل الارادة ولا فضل العمل
بالفرائض والنوافل لان مكارم الاخلاق تستدعي ان يحكم الانسان على امياله وعواطفه
ويوجهها كلها الى العمل بما يجب عليه وان يعود الى ارادته ونظره اذا رأى تناقضاً
ظاهراً بين الواجبات لكي يميز الواجب الحقيقي ويعمل به . مثال ذلك رجل اعتاد الخروج
الى النزهة كل صباح في ساعة معينة حتى اذا اتت تلك الساعة رأى من نفسه دافعاً
يدفعه الى الخروج . وفي ذات يوم وقف في باب بيته واراد الخروج على جاري عاداته
فراى السحب قد طبقت السماء فانه يقف حينئذ بين دافعين دافع العادة يدفعه الى
الخروج للنزهة ودافع الحكمة والنظر في العواقب يقول له ' ان انت خرجت الآن فقد
يصيبك المطر ويطال ثيابك ويضر بك فيتردد بين هذين الدافعين ويقابل بين منفعة
الاول ومضرة الثاني ثم ينقاد الى اقوامه . وهب انه لم ير مطراً ولا سحابة ولكن جاءه
في تلك الدقيقة رسول يدعوه الى مريض مشرف على الموت فيقوم في نفسه دافع آخر
أدبي فان هو اطاع دافع العادة فقد قام بما ينلج جسمه من الراحة والسرور وان هو
اطاع الدافع الادبي فقد فعل فلاً واجباً نحو ذمته وشرفه ومريضه . فاذا كان القيام
بالواجب من اخلاقه ايضاً قابل بين الاثنين وفضل الثاني لا لانه خلق فيه بل لانه
واجب عليه

الرابعة تحمل شظف المعيشة ومضارها . وهذا واضح من النظر الى احوال الفلاحين
في هذا القطر ونحوم من السكان الذين لا يهتمون بالتدابير الصحية فانهم يتامون في
أكواخ لوانام فيها المترفة ليلية واحدة تقضي نجيته ويأكلون اغث المآكل ويشربون اخبث
المياه ويكتسون ارث الثياب ولا يكاد الصابون يعرف ابدانهم ومع ذلك تراهم على جانب
كبير من الصحة والعافية . وقد ثبت بالامتحان ان التجربيين منهم الذين يسجنون في سجون
نظيفة مطلقة الهواء فتتك بهم الامراض اكثر من فتكها بالذين يسجنون في السجون
القديمة القليلة النظافة الفاسدة الهواء وما ذلك الا لان ابدانهم اعتادت شظف المعيشة
فصارت الرفاهة تضر بها . ويقال ان القواد الكبار يعوون دون ابدانهم شظف المعيشة تعويداً

حتى اذا باتوا في ساحة القتال لم تؤثر فيهم الكاره والمشاق . وقد اخبرنا ثقة انه رأى امبراطور المانيا فردريك الثاني المتوفى يرفع الفراش الوثير عن سريره حينما جاء الديار الشاميه وهو ولي للعهد وينام على فراش خشن لكي لا يرفه جسمه ولا يعود وقت الراحة ما لا يجده في ساحة القتال . وهذا شأن كثيرين من القواد واهل السياحة ونجوم اما مضار العادة فقد اوضحها الدكتور شوفيلد بمثل بديع قال فيوان في بعض البيوت حبلًا متصلًا بالبواب الخارجى حتى اذا دق احد الجرس يريد الدخول جذب الخادم الحبل وفتح الباب به . وحدث ان خادمة كانت كلما دق جرس الباب تطل عن نافذة ترى من يدهق ثم تجذب هذا الحبل وفتح الباب به اذا شاءت ادخاله . ثم خطر لها ان تربط حبل الجرس بالحبل الذي يفتح الباب به فصار اذا اراد احد الدخول وجذب حبل الجرس لكي يدهق يفتح الباب به من نفسه فاكففت الخادمة مؤونة التطلع من النافذة وجذب الحبل بيدها ولم يعد طالب الدخول ينتظر الى ان تفتح له . ولكن لم تعد الخادمة قادرة على ان تدخل من تريد وتمنع من تريد . وهذا شأن العادات فانها تكفيننا مؤونة النظر وترفع عنا بعض التعب ولكنها تصعب سلطان الارادة فيخضع الانسان بها لما لا يريد الخضوع له . واذا كانت العادات ذميمة فهناك البلية الكبرى والشر الذي لا مناص من تنأجه في الحلال والمال ولا سيما اذا تمكنت من النفس وصارت اخلاقًا تنقل الى النسل بالارث والقدوة كمادة السكر وارتكاب الجرائم . بل ان الاعمال الحميدة قد تفقد فائدتها اذا اعتادها الانسان وصار يعلم على مقتضى العادة فقط كالذهاب الى المعابد وتلاوة الصلاة والعقل شارده عن معانيها

ومن مضار العادة ايضا ان الحواس والمشاعر تكل بها فلا تعود لناثر من الخير والشر ولا تفرق بين الحلال والحرام . ويضعف شعورها بالملاذ حتى تصير تعافها لكن هذه المضار يمكن تلافيها كلها الا مضار العادات الذميمة فانها ليس مما يتلافى الا بردع النفس عنها دواما حتى تزول آثارها منها وذلك ليس بالامر المستحيل وما النفس الا حيث يحملها الفتى فان اطمعت تاقت والا توات فانما رأت عزمي على الترك ولت ولكنك عسير جدا وما احسن ما قاله عمرو بن كلثوم وكنت امرأة الرشيت ان تبلغ المنى بلغت يادى غاية تستديها ولكن فطام النفس اقل سجلا من الصخرة الصماء حين ترومها

حتى اذا تمكنت العادات وحارت طباعاً مروثة تعذر نزعها الا بشق الانفس
اذا كان الطباع طباع سوء فليس بتافع ادب الاديب

مصير التمدن

ترجمة بايجاز عن كتاب هنري جورج الكاتب الاميركي الشهير بقلم نسيم اندي برباري

لا عجب اذا افتخر ابناء القرن التاسع عشر على المتقدمين بعد ان اوتوا من العلم
والاختراع ما لم يحلم به سلفاؤهم وسما تمدينهم على كل تمدن قبله . واول ما يحظر على بال
الباحث بعد ان تذهب سورة خمر الافتخار من رأسه هو هل يبقى تمدننا هذا الى ما شاء
الله او يرجع المتمدنون القهقري فتزرو جيوش المتوحشين اوربا وتعفو معالمها فتدرس
آثارها ويبتدى تمدن آخر يرى اهله انفسهم ارقى مما كما نرى انفسنا ارقى من اسلافنا
وقد يظن المرء لاول وهلة ان هذا مستحيل من جميع الوجوه وان العالم سائر سيرا
حينئذ في سبيل الارتقاء وسيدوم كذلك الى ما شاء الله . ولا يبعد ان الروماني الذي
شاهد عظمة رومية وسمع بانتصار جيوشها ورأى القياصرة تدخلها باحتفال عظيم وقد
شد اسرى الملوك الى مركباتهم كان يرى في تمدنه ما نراه نحن في تمدننا بل ربما تطرف
الى اكثر من ذلك لجهله ان في شجرة التمدن دودة نخرها وقد نخرت شجرة التمدن
القديم فروتاً عديدة والناس عنها لاهون حتى اذا عصفت بها ريح زعزع لم تقو على صدها .
اما فنحن فنعلم كيفية سير الداء الذي طرأ على التمدن الحديث وقد قام الناس لمداواته
فاذا لم يفلحوا عدنا الى ما كنا عليه منذ الف عام وذويت اعمال القرن التاسع عشر
ادراج الرياح

واول ما يجب اليحس عنه هو اسباب هذا التمدن واحكامه . والمعتمد عليه عند
الجمهور هو ما قرره الفيلسوف هربرت سبنسر وغيره من ان قوى الناس قد ارتقت
بفعل الانتخاب الطبيعي وناموس الوراثة كما ارتقت انواع الحيوان في مذهب النشوء
والارتقاء او بعبارة اخرى انه كلما اشتد التنارع للبقاء اضطر الانسان الى الاختراع
والاستنباط لاصلاح حاله وبقاء نوعه . وهذا الاصلاح وقوة الحصول عليه يرثها الفرد
او الشعب الذي هو اصح من غيره للبقاء . وعلى هذا المذهب يكون البقاء قد خصص